

أكثر موضوعية مما اعتدنا توقعه من الكتب الغربية التي تتناول الموضوع نفسه. ولا شك في أن المؤلفة تجرأت أن تقول أموراً لا يرضى عنها الصهاينة ويتطلب قولها شجاعة — ولكن دائماً في نطاق الموضوعية . بل إن « موضوعيتها » تبدو أحياناً غير مسوفة ، كما يحصل عندما تتكلم في الصفحة ١٤٧ ، وهي التي واجهت متاعب جمة في نشر كتابها هذا ، عن تبادل الاتهامات في انكفرتا بين العرب والإسرائيليين حول تحيز الصحافة ودور النشر البريطانية ! فالكاتبة تكفي بعرض هذه الاتهامات المتبادلة ، دون أن تعترف بتحيز الصحافة ودور النشر البريطانية المسافر مع إسرائيل وضد العرب .

ويبقى أن نقول أن الكتاب يقع في ١٥٨ صفحة ، وينقسم إلى ١٩ فصلاً ، مع مقدمة وفهرست وثبت مراجع . ولا يخلو الكتاب ، للأسف ، من عدة هفوات وأخطاء بارزة ، منها : أن الكاتبة تنسب إلى حزب حيروت الإسرائيلي (ص ١١٧) قوله أن إسرائيل تمتد « من دجلة إلى الفرات » ، وقولها (ص ٩) أن طائرات « الميخ » والهانتز اللبنانية — تصفت مخيمات النازحين في ضواحي بيروت فسي « ايار الأسود » ، وترجمتها (ص ٩٦) لمباراة « انشاء الله » العربية على أنها تعني « أنها مشيئة الله » . غير أن هذه الهفوات تبقى غير مهمة بالمقارنة مع حسنات الكتاب . فهو موضوع في لغة بسيطة واضحة وسلسة . ويظهر صدق المؤلفة وإيمانها بما تقوله في كل سطر من أسطر الكتاب .

رجا جورج

حل وسط معتدل وتقدمي — على الرغم من حقيقة أن عدة فلسطينيين أثرياء سيكونون مستعدين للقبول بأي حل لاعتبارات إنسانية ليس إلا » . والغريب أنها تقول ذلك رغم اعتراضها في الفقرة التالية مباشرة (مع تكرار الشعور بالأسف) بأن « جميع الحلول الممكنة الأخرى تصل إلى ماأزق : فهي جميعها تبدو غير عملية لدى دراستها على خلفية الأوضاع السياسية في الأردن وإسرائيل ، وكلاهما غير مقبول من الفلسطينيين » .

ومع هذا ، فإن مما لا ريب فيه أن الكاتبة تكن عطفاً ومحبة واضحين للفلسطينيين ، مع التشديد على الناحية الإنسانية في القضية بالدرجة الأولى . وفي وصفها لجنة الفلسطينيين وصمودهم تبلغ أحياناً مستوى رفيعاً من البلاغة والصدق . فهي تقول في الصفحة ٨٤ : « الفلسطيني فلسطيني ويبقى فلسطينياً — ولا يمكن لأي امتداد من التاريخ أو الاستيعاب أو الضغط السياسي أبداً أن يجعله أي شيء آخر ، سواء أعيدت فلسطين أم لم تعد . فإن فلسطين تحيا بقوة في ذهنه بحيث أصبحت هي الحقيقة : وصارت البلدان المضيئة عوالم أحلام . ويتذكر الفلسطينيون بيوتهم وممتلكاتهم ومقاعدهم المفضلة وحقولهم وبيارات برتقالهم جميعها بوضوح وكأنهم تركوها أمس فقط . ويتكلم الفلسطينيون عن الأمل والغد وكأنهما الواقع : واليوم هو الوهم العابر . وهكذا تحافظ العائلات التي تقيم في المنفى على الذكرى والأمل — سواء كانت اتامت في البيئات الوردية الزاهية في عمان أو بيروت ، أو في أكواخ النازحين الكئيبة ... » .

وفي الواقع ، يبدو الكتاب بوجه الإجمال